

58

# قصص الأنبياء

## محمد

صلى الله عليه وسلم (2)

قريش

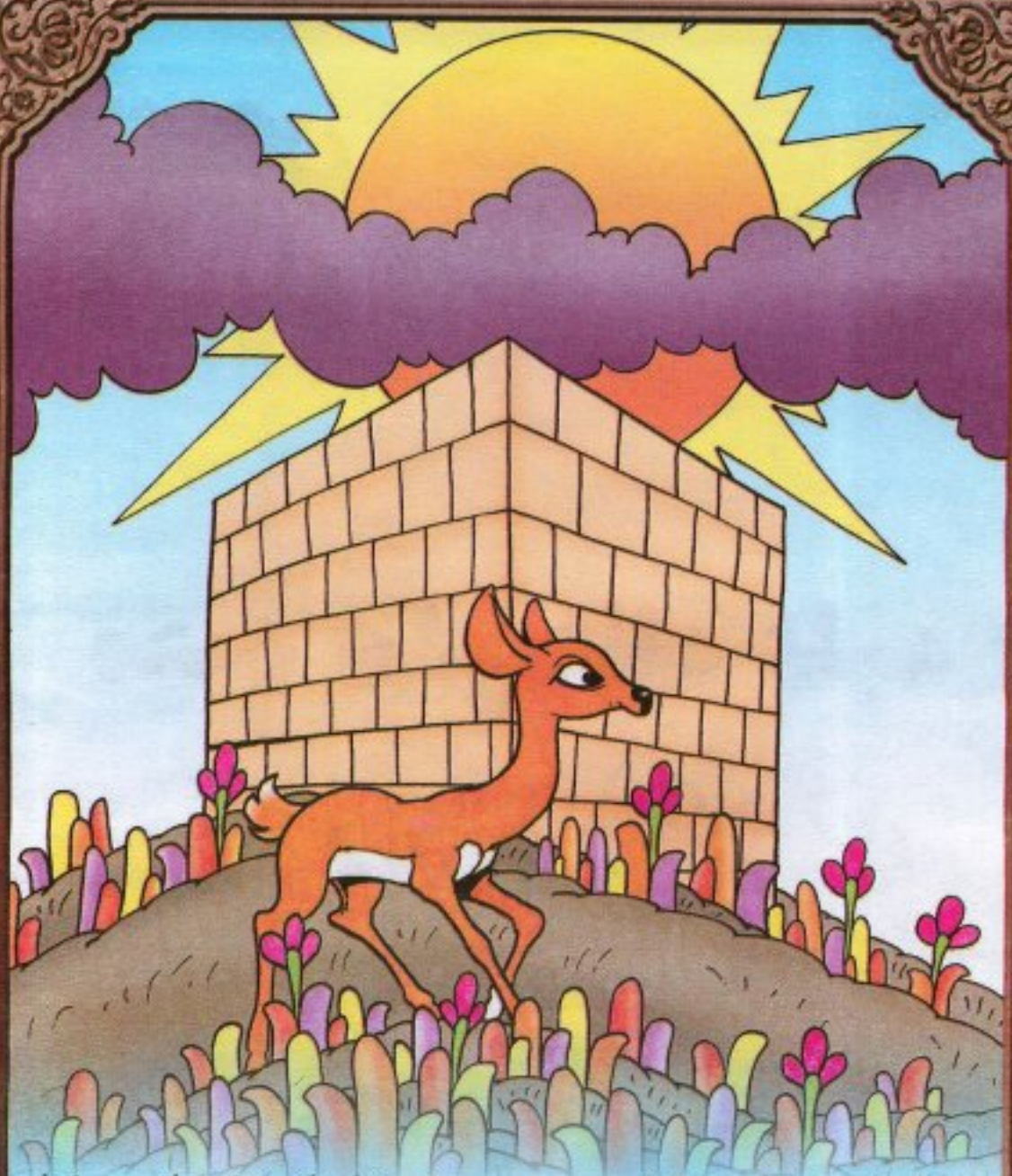
بقلم: د. عبد الحميد عبد القصود

رسوم: د. عبد الشافي سيد

إشراف: د. حمدي مصطفى







بَعْدَ وَفَاةِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابٍ تَوَلَّى بَنُوهُ الْأَرْبَعَةَ : عَبْدُ  
الدَّارِ ، وَعَبْدُ مَنَافٍ ، وَعَبْدُ الْعَزَى ، وَعَبْدُ أَمْرِ قُرَيْشٍ  
وَأَمْرَ قَوْمِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ ، وَكَانَ قُصَيٌّ قَدْ خَصَّ  
وَلَدَهُ الْأَكْبَرَ عَبْدَ الدَّارِ بِأَمْرِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ،



فَجَعَلَ الْحِجَابَةَ وَاللُّوَاءَ وَالسَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ

فِي يَدِهِ ؛ لِيَجْعَلَ لَهُ شَرَفًا مِثْلَ شَرَفِ إِخْوَتِهِ الثَّلَاثَةِ فِي قَوْمِهِمْ .. وَقَدْ أَقَرَّتْهُ قُرَيْشٌ عَلَى ذَلِكَ ، وَأَقَرَّتْ إِخْوَتَهُ عَلَى الْقِيَامِ بِأَمْرِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ آبِيهِمْ قُصَيٍّ ..

وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَنِي قُصَيٍّ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ اخْتِلَافٌ وَلَا تَنَازُعٌ ، وَتَوَارَثَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ وَلَايَةَ الْبَيْتِ بَعْدَ آبِيهِمْ ، وَقُرَيْشٌ تُقَرُّ لَهُمْ بِذَلِكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ..

وَلَكِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ بَنُ قُصَيٍّ ، وَهَاشِمًا وَالْمُطَّلِبَ وَنَوْفَلًا أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مَا بِأَيْدِي بَنِي عَبْدِ الدَّارِ مِنَ الْحِجَابَةِ وَاللُّوَاءِ وَالسَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ مِنْهُمْ لِشَرَفِهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَفَضْلِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ ..

فَلَمَّا حَدَثَ ذَلِكَ تَفَرَّقَتْ قُرَيْشٌ ، وَانْقَسَمَتْ إِلَى ثَلَاثِ طَوَائِفَ ، فَكَانَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ يَرَوْنَ أَنََّّهُمْ أَحَقُّ بِهَذَا الشَّرَفِ مِنْ



بَنَى عَبْدُ الدَّارِ لِمَكَانَتِهِمْ فِي قَوْمِهِمْ .

وَكَانَتْ طَائِفَةٌ مَعَ بَنَى عَبْدِ الدَّارِ ، وَكَانُوا يَرَوْنَ الْأَيْزَعَ مِنْهُمْ هَذَا الشَّرَفَ الَّذِي خَصَّهُمْ بِهِ قُصَى .  
وَكَانَ هُنَاكَ فَرِيقٌ ثَالِثٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَيْسَ مَعَ هَؤُلَاءِ وَلَا هَؤُلَاءِ .

وَعَقَدَ كُلُّ فَرِيقٍ عَلَى أَمْرِهِمْ حَلْفًا مُؤَكَّدًا ، تَعَاهَدُوا فِيهِ عَلَى الْأَيْتِحَادِ كُلِّهِمْ ، وَأَنْ يَنْصُرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَأَخْرَجَ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ حَقْنَةً (وَعَاءً) مَمْلُوءَةً طَبًا ، فَوَضَعُوهَا لِحُلَفَائِهِمْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ غَمَسَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ فِيهَا ، فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاهَدُوا مَعَ حُلَفَائِهِمْ . ثُمَّ مَسَحُوا الْكَعْبَةَ بِأَيْدِيهِمْ ، تَوَكِيدًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَسَمُّوا « حَلْفَ الْمُطَيِّينِ » .

وَتَعَاهَدَ بَنُو عَبْدِ الدَّارِ وَتَعَاهَدُوا مَعَ حُلَفَائِهِمْ عِنْدَ الْكَعْبَةِ ، عَلَى أَنْ يَنْصُرُوهُمْ وَلَا يَخْدُلُوهُمْ ، فَسَمُّوا « الْأَحْلَافَ » .



ثُمَّ تَعَبَّاتِ الْقَبَائِلُ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ،  
وَاسْتَعَدَّتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ مِنْ أَحَدِ الْحَلْفَيْنِ لِقَاتِلَ قَبِيلَةٍ مِنَ  
الْحَلْفِ الْآخَرِ ، وَالْإِغَارَةُ عَلَيْهَا .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْجَمِيعُ مُقَدِّمِينَ عَلَى الْحَرْبِ ، تَدَاعَى  
الْفَرِيقَانِ لِلصُّلْحِ ، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُعْطُوا بَنِي عَبْدِ  
مَنَافٍ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ ، وَأَنْ تَكُونَ الْحِجَابَةُ وَاللُّوَاءُ  
وَالنَّدْوَةُ لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَفَعَلُوا ، وَرَضِيَ كُلُّ مَنْ  
الْفَرِيقَيْنِ .

وَاسْتَمَرَ كُلُّ فَرِيقٍ بِسَانِدِ حَلْفِهِ ، حَتَّى جَاءَ الْإِسْلَامُ .  
وَبَعْدَ هَذَيْنِ الْحَلْفَيْنِ ، وَقِيلَ بَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ نَشَأً  
فِي مَكَّةَ حَلْفَ آخَرَ سَمِيَ بِاسْمِ «حَلْفِ الْفُضُولِ» .  
وَقِصَّةُ حَلْفِ الْفُضُولِ ، أَنَّهُ لَمَّا عَمَّ الظُّلُمُ بِمَكَّةَ - بِلَدِ  
اللَّهِ الْحَرَامِ - فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، قَبْلَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ ، دَعَتْ  
بَعْضُ قَبَائِلٍ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى تَكْوِينِ هَذَا الْحَلْفِ ،  
فَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ ؛



لأنه كان أكبرهم سنًا وأكثرهم شرفًا ،  
فتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها  
أو من غير أهلها إلا قاموا معه ونصروه على من ظلمه ،  
حتى ترد إليه مظلمته ..

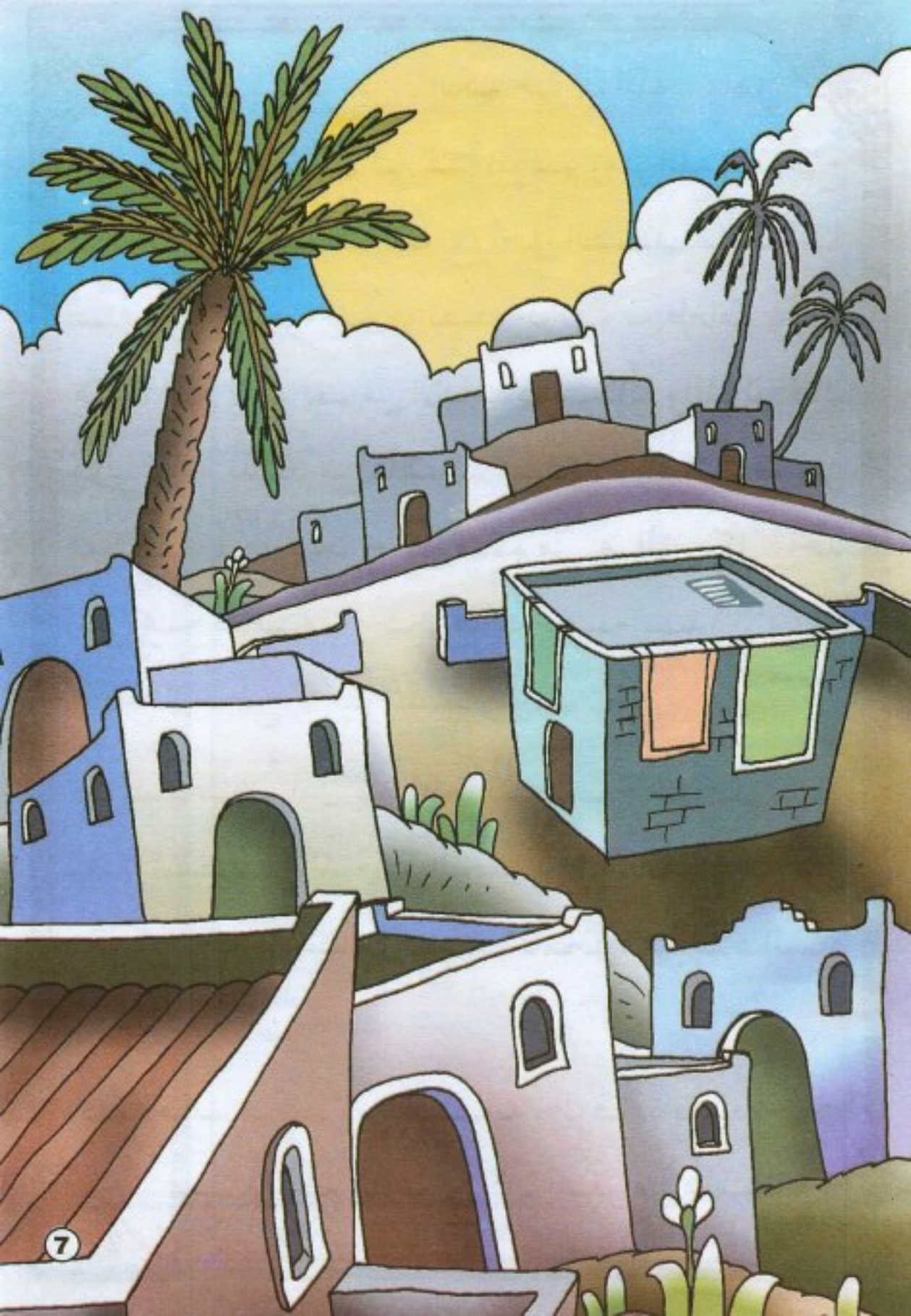
وقد قال رسول الله ﷺ يمدح هذا الحلف :

« لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ،  
ما أحب لو أن لي به حمر النعم ، ولو دُعيت إليه في  
الإسلام لأجبت » ..

أى أنه ﷺ لم يكن يحب نقض هذا الحلف ، ولو  
أعطى في مقابل ذلك حمر النعم ، وهى النوق  
الشمينة ..

ولما تصالح بنو عبد مناف وبنو عبد الدار ولى  
الرفادة والسقاية هاشم بن عبد مناف ، فكان إذا  
حضر موسم الحج حث قريشاً على جمع الطعام  
للحجاج قائلًا :







- يا معشر قريش ، إنكم جيران الله ، وأهل

بيته ، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله وحجاج  
بيته ، وهم ضيف الله ، وأحق الضيف بالكرامة  
ضيفه ، فاجمعوا لهم ما تصنعون لهم به طعاماً أيامهم  
هذه ، التي لا بد لهم من الإقامة بها ، فإنه والله لو كان  
مالي يسع لذلك ما كلفتكم شيئاً .. وكانت قريش  
تستحب له ، فيخرج كل منهم من أمواله ، كل واحد  
على قدر طاقته ، وكان هاشم يصنع بهذه الأموال  
طعاماً للحجاج ، حتى ينهي موسم الحج ..

وكان هاشم أول من أطعم الحجاج الشريد ، وهو  
الحبر المفتت في المرق أو الحليب ، وكان أول من سن  
لقريش رحلة الشتاء والصيف للتجارة في بلاد الشام  
واليمن .

فلما مات هاشم ولي السقاية والرفادة بعده أخوها  
لمطلب بن عبد مناف ، وكان أصغر من هاشم ..



وقد كَانَ الْمُطَلَّبُ ذَا شَرَفٍ فِي قَوْمِهِ وَفَضْلٍ ، وَكَانَتْ  
قُرَيْشٌ تُسَمِّيهِ «الْفَيْضَ» لِسِمَاحَتِهِ وَفَضْلِهِ ..





وكان هاشمٌ قد تزوّج من يثرب امرأةً تُسمّى  
سلمى بنت عمرو من بنى النجار ، فأنجب منها ولداً  
سمّته شيبَةَ ، وهو الذى عُرف باسم عبد المطلب ..  
وسببُ تسمية شيبَةَ باسم عبد المطلب ، أنّه لما مات  
هاشمٌ خرج المطلبُ إلى يثرب لإحضارِ بن أخيه إلى  
مكة ، فقالت له سلمى :

— لن أرسله معك إلى مكة ..

فقال لها المطلبُ :

— لستُ منصرفاً ، حتّى آخذه معى .. إنّ ابن أخى قد  
بلغ وهو غريبٌ عن قومه ، ونحنُ أهلُ بيتٍ شرفٍ فى  
قومنا ، نلّى كثيراً أمرهم ، وقومه وعشيرته وبلده  
خيرٌ له من الإقامة فى غيرهم ..

فأذنت سلمى لابنها شيبَةَ بالرحيل مع عمه المطلب  
إلى مكة ..

حمل المطلبُ ابن أخيه شيبَةَ على بغيره ،



وَدَخَلَ بِهِ مَكَّةَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ ظَنَّتْ أَنَّهُ عَبْدٌ  
اشْتَرَاهُ الْمُطَّلِبُ ، فَقَالُوا : عَبْدُ الْمُطَّلِبِ .. وَسَمَوْهُ  
بِذَلِكَ .. فَقَالَ لَهُمُ الْمُطَّلِبُ :

- وَيَحْكُمُ ! إِنَّمَا هُوَ ابْنُ أَخِي هَاشِمٍ قَدِمْتُ بِهِ مِنْ يَثْرِبَ .  
فَلَمَّا مَاتَ الْمُطَّلِبُ وَلِيَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ بْنُ هَاشِمٍ السَّقَايَةَ  
وَالرَّفَادَةَ بَعْدَ عَمِّهِ .. فَأَقَامَهَا لِلنَّاسِ ، وَأَقَامَ لِقَوْمِهِ مَا  
كَانَ آبَاؤُهُ يُقِيمُونَ قَبْلَهُ ..

وَشَرَفَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي قَوْمِهِ شَرْفًا لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ  
آبَائِهِ ، وَأَحَبَّهُ قَوْمُهُ ، حُبًّا شَدِيدًا ..

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتُ كَانَتْ بئرُ زَمْزَمَ ، الَّتِي تَفَجَّرُ مِنْهَا  
الْمَاءُ تَحْتَ قَدَمِي الصَّغِيرِ إِسْمَاعِيلَ قَدْ رُدِمَتْ وَنَسِيَ  
النَّاسُ أَمْرَهَا تَمَامًا .. رَدِمْتُهَا جَرَّهُمْ حِينَ طُرِدَتْ مِنْ  
مَكَّةَ وَدَفِنَتْ فِيهَا غَزَالِي الْكَعْبَةِ ..

وَكَانَتْ قَدْ حُفِرَتْ فِي مَكَّةَ آبَارٌ كَثِيرَةٌ لِسِقَايَةِ  
حُجَّاجِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ..



وَأَرَادَ اللَّهُ (تَعَالَى) الْخَيْرَ بَعْدَ الْمَطْلَبِ ، بَأَنْ  
يَكُونَ لَهُ شَرَفٌ إِعَادَةً حَفَرٍ بِشَرِّ زَمْزَمَ .. فَبَيْنَمَا كَانَ  
عَبْدُ الْمَطْلَبِ نَائِمًا فِي الْكَعْبَةِ - وَكَانَ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَنَامَ  
فِي حَجَرِ إِسْمَاعِيلَ - فَسَمِعَ هَاتِفًا يَنَادِيهِ قَائِلًا :  
- احْفَرُ طَيِّبَةً

فَاسْتَيْقَظَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ مُتَسَائِلًا فِي دَهْشَةٍ :  
- وَمَا طَيِّبَةٌ ۱۹

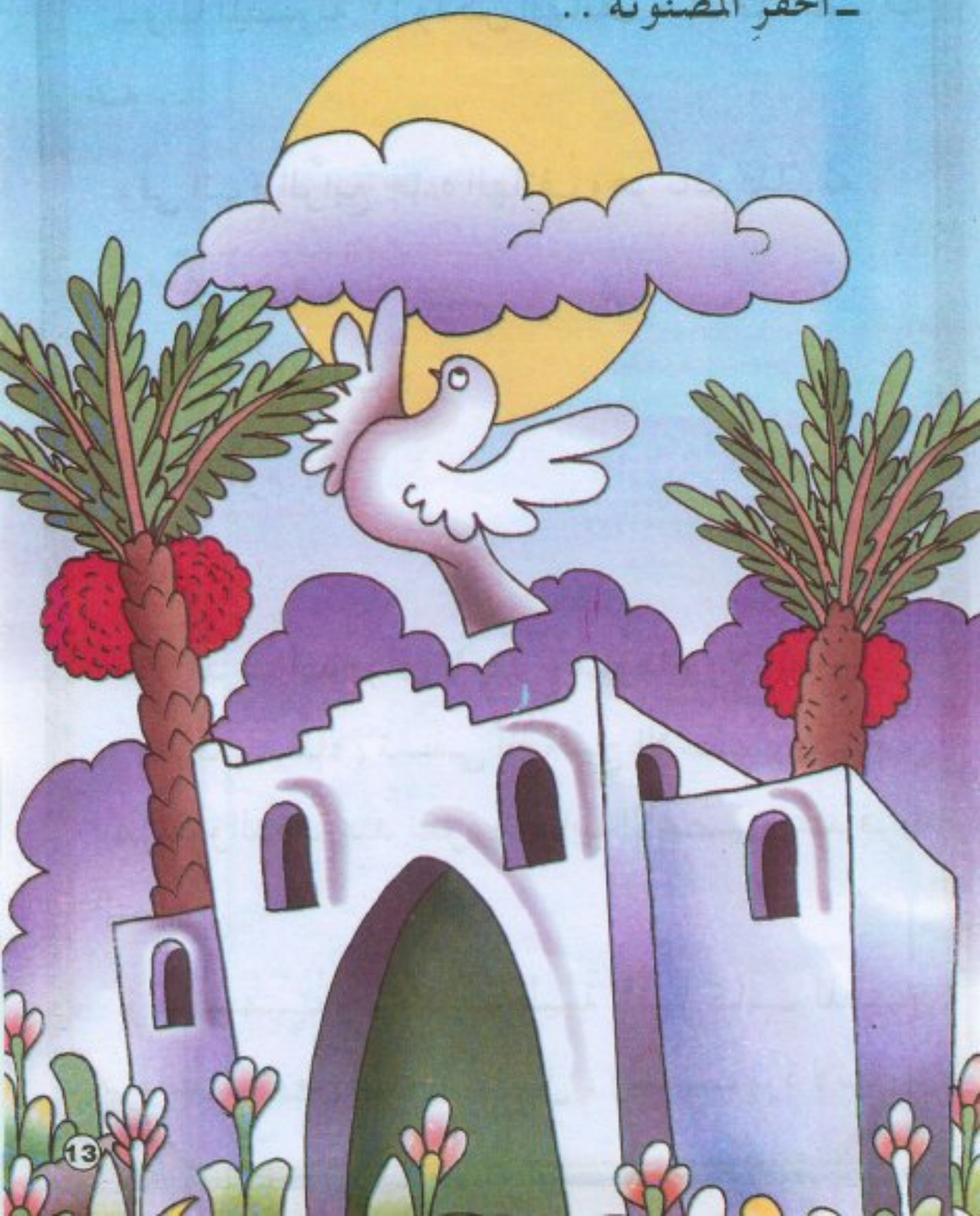
وَلَكِنْ الْهَاتِفُ كَانَ قَدْ انْصَرَفَ عَنْهُ  
فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمَ التَّالِيَّ ذَهَبَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ وَنَامَ فِي  
مَكَانِهِ ، فَسَمِعَ مَنْ يَنَادِيهِ قَائِلًا :  
- احْفَرُ بَرَّةً

فَاسْتَيْقَظَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ مُتَسَائِلًا :  
- وَمَا بَرَّةٌ ۱۹

وَلَكِنْ الْهَاتِفُ كَانَ قَدْ انْصَرَفَ عَنْهُ ..



وفى الْيَوْمِ الثَّالِثِ جَاءَهُ الْهَاتِفُ قَائِلًا :  
- احْفَرِ الْمَضْنُونَ ..





فَاسْتَيْقَظَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ مُتَسَائِلًا :

- وَمَا الْمَضْنُونَةُ ؟ ! وَلَكِنَّ الْهَاتِفَ كَانَ قَدْ انْصَرَفَ

عَنْهُ ..

وَفِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ جَاءَهُ الْهَاتِفُ وَهُوَ نَائِمٌ فَقَالَ لَهُ :

- احْفَرِ زَمْزَمَ ..

فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ :

- وَمَا زَمْزَمُ ؟ !

فَقَالَ لَهُ :

- لَا تَنْزِفُ أَبَدًا (أَيُّ لَا يَفْرُغُ مَآوُهَا) وَلَا تُذَمُّ (أَيُّ لَا

تُوجَدُ قَلِيلَةُ الْمَاءِ) تَسْقَى الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ ، وَهِيَ بَيْنَ

الْفَرثِ وَالدَّمِّ ، عِنْدَ نُقْرَةِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ ، عِنْدَ قَرْيَةِ

النَّمْلِ ..

وَقَدْ سُمِّيَتْ زَمْزَمُ بِاسْمِ طَيْبَةٍ لِأَنَّهَا كَانَتْ لِلطَّيِّبِينَ

وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ أَبْنَاءِ إِسْمَاعِيلَ ، وَسُمِّيَتْ بَرَّةً لِأَنَّهَا



فَاضَتْ عَلَى الْأَبْرَارِ وَغَاضَتْ عَنِ الْفُجَّارِ ،  
وَسُمِّيتَ مَضْنُونَةً لِأَنَّهَا ضُنَّ بِهَا عَلَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا  
يَشْبَعُ مِنْهَا مُنَافِقٌ ..

حَدَّدَ الْهَاتِفُ لَعَبْدِ الْمَطْلَبِ الْمَوْضِعَ الَّذِي سَيَحْفَرُ فِيهِ  
بُئْرَ زَمَزَمَ ، وَهُوَ بَيْنَ صَنْمَيْنِ يُقَالُ لَهُمَا إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ ،  
وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تَنْحَرُ عِنْدَ هَذَيْنِ الصَّنَمَيْنِ ذَبَائِحَهَا ..  
فَخَرَجَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ حَامِلًا مَعُولَهُ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْحَرْثُ ،  
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَلَدٌ غَيْرُهُ ، وَذَهَبَ إِلَى  
الْمَوْضِعِ الَّذِي حَدَّدَهُ لَهُ الْهَاتِفُ ..

وَبَدَأَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ يَحْفَرُ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ يَحْفَرُ  
قَامُوا إِلَيْهِ ، وَحَافِلُوا مَنْعَهُ مِنَ الْحَفْرِ بَيْنَ صَنْمَيْهِمُ  
الَّذِينَ يَنْحَرُونَ عِنْدَهُمَا .. فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّهُ يَحْفَرُ زَمَزَمَ  
قَالُوا لَهُ :

- إِنَّهَا بُئْرُ أَبِينَا إِسْمَاعِيلَ وَإِنَّ لَنَا فِيهَا حَقًّا ،  
فَأَشْرِكْنَا مَعَكَ فِيهَا ..



فَقَالَ لَهُمْ عَبْدُ الْمَطْلِبِ :

— مَا أَنَا بِفَاعِلٍ .. إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ قَدْ خُصِّصَتْ بِهِ  
دُونَكُمْ وَأَعْطِيَتْهُ مِنْ بَيْنِكُمْ ..

وهكذا وقع الخلاف بين عبد المطلب وقومه ..

( يتبع )

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/١٩٠٥٠

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٣١٣ - ٤٤٤٤

فَصْرُ الْأَنْبِيَاءِ

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(٣)

حفر زمزم

احرص على اقتنائه

